

تفسير السعدي

@ 404 @ ذهابه معنا ، ولما أعطيناك عهدنا ومواثيقنا ، فلم نظن أن الأمر ، سيبلغ ما بلغ . ! 2 2 ! إن شككت في قولنا ^ (القرية التي كنا فيها والعبر التي أقبلنا فيها) ^ فقد اطلعوا على ما أخبرناك به ! 2 2 ! لم نكذب ، ولم نغير ، ولم نبذل ، بل هذا الواقع . فلما رجعوا إلى أبيهم ، وأخبروه بهذا الخبر ، اشتد حزنه ، وتضاعف كمدّه ، واتهمهم أيضا في هذه القضية ، كما اتهمهم في الأولى ، و ^ (قال : بل سلوت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل) ^ أي : ألجأ في ذلك ، إلى الصبر الجميل ، الذي لا يصحبه تسخط ، ولا جزع ، ولا شكوى للخلق ، ثم لجأ إلى حصول الفرج ، لما رأى أن الأمر اشتد ، والكربة انتهت فقال 2 ! : 2 ! أي : يوسف و (بنيامين) ، وأخوهم الكبير ، الذي أقام في مصر . ! 2 2 ! الذي يعلم حالي ، واحتياجي إلى تفريجه ومنته ، واضطراري إلى إحسانه ، ! 2 2 ! الذي جعل لكل شيء قدرا ، ولكل أمر منتهى ، بحسب ما اقتضته حكمته الربانية . ^ (وتولى عنهم وقال يأسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم * قالوا تاف تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين * قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون) ^ أي : وتولى يعقوب عليه الصلاة والسلام عن أولاده ، بعدما أخبروه هذا الخبر ، واشتد به الأسف والأسى ، وابيضت عيناه من الحزن ، الذي في قلبه ، والكمد الذي أوجب له كثرة البكاء ، حيث ابيضت عيناه من ذلك . ! 2 2 ! أي : ممتلئ القلب من الحزن الشديد ، 2 ! 2 ! أي : ظهر منه ما كمن من الهم القديم ، والشوق المقيم ، وذكرته هذه المصيبة الخفيفة ، بالنسبة للأولى ، المصيبة الأولى ، فقال له أولاده متعجبين من حاله : ! 2 2 ! أي : لا تزال تذكر يوسف في جميع أحوالك ، ! 2 2 ! أي : فانيا لا حراك فيك ، ولا قدرة على الكلام . ! 2 2 ! أي : لا تترك ذكره مع قدرتك على ذكره أبدا . ^ (قال) ^ يعقوب ! 22 ! أي : ما أثبت من الكلام ! 2 2 ! الذي في قلبي ! 2 2 ! وحده لا إليكم ولا إلى غيركم من الخلق فقولوا ما شئتم ! 2 2 ! من أنه سيردهم علي ويقر عيني بالاجتماع بهم . ^ (يبني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون * فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين * قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون * قالوا إنك لأت يوسف قال أنا يوسف وه ذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين * قالوا تاف لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين * قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ^ أي : قال يعقوب عليه

السلام لبنيه : ! 2 2 ! ، أي : احرصوا واجتهدوا على التفتيش عنهما ! 2 2 ! ، فإن
الرجاء ، يوجب للعبد ، السعي والاجتهاد ، فيما رجاه ، والإيأس : يوجب له التناقل
والتباطؤ ، وأولى ما رجا العباد ، فضل الله وإحسانه ، ورحمته ، وروحه ، ! 2 2 ! ، فإنهم
لكفرهم يستبعدون رحمته ، ورحمته بعيدة منهم ، فلا تتشبهوا بالكافرين . ودل هذا على أنه
بحسب إيمان العبد ، يكون رجاؤه لرحمة الله وروحه . فذهبوا ! 2 2 ! أي : على يوسف ! 22
! متضرعين إليه : ! 2 2 ! أي : قد اضطررنا نحن وأهلنا ! 2 2 ! أي : مدفوعة مرغوب
عنها ، لقلتها ، وعدم وقوعها الموقوع ، ! 2 2 ! أي : مع عدم وفاء العرض ، وتصديق علينا
بالزيادة عن الواجب . ! 2 2 ! بثواب الدنيا والآخرة . فلما انتهى الأمر ، وبلغ أشده ،
رق لهم يوسف رقة شديدة ، وعرفهم بنفسه ، وعاتبهم . ف ^ (قال) ^ : ! 2 2 ! . أما
يوسف فظاهر فعلهم فيه ، وأما أخوه ، فلعله والله أعلم قولهم : ! 2 2 ! ، أو أن الحادث
الذي فرق بينه وبين أبيه ، هم السبب فيه ، والأصل الموجب له ، ! 2 2 ! وهذا نوع اعتذار
لهم بجهلهم ، أو توبيخ لهم إذ فعلوا فعل الجاهلين ، مع أنه لا ينبغي ، ولا يليق منهم .
فعرفوا أن الذي خاطبهم ، هو يوسف فقالوا : ^ (أإنك لأنت يوسف ؟ قال : أنا يوسف ، وهذا
أخي قد من الله علينا) ^ بالإيمان والتقوى . والتمكين في الدنيا ، وذلك بسبب الصبر
والتقوى ، ! 2 2 ! أي : يتقي فعل ما حرم الله ، ويصبر على الآلام والمصائب ، وعلى الأوامر
، بامثالها ^ (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) ^ فإن هذا من الإحسان ، والله لا يضيع أجر
من أحسن عملا . ! 2 2 ! أي : فضلك علينا ، بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم ، وأسأنا إليك
غاية الإساءة ، وحرصنا على إيصال الأذى إليك ، والتباعد لك عن أبيك ، فأثرك الله تعالى ،
وممكنك مما تريده ! 2 2 ! . ^ (قال) ^ لهم يوسف عليه السلام ، كرما وجودا :